المفلطحة ، هي من مظاهر البله والخمول في الجنس البشري. الا ان ازميل سعيد مخلوف ومبرده احالا هذه البديهة الى غلطة كبيرة . فكل شيء عنده يوحي بالعنف الداخلي والعصيان المتطرف ، بل يوحي بعدد هائل من البطولات الشامخة والذليلة في آن واحد ، كما في « عراك » و « المقعد » . وهذا هو جوهر عمله الفني الذي يجعل من ثقافته المحدودة في هذا الفن امرا ثانويا. فهو لا يستلهم في اعماله اية مقاييس سابقة ، بل كثيرا ما يفرض عليه شكل الغصن ، او نتوءات الجذع الذي يستعمله ، شكل التمثال وموضوعه . ولذلك فان الذين يمتدحونه باستمرار لبراعته في الحفر على الخشب ، انما هم يذكّرونه في الحقيقة بان محك موهبته الحقيقي هو الحجر، حيث لا نتوءات ولا اغصان، حيث لا شيء غير التحدي . ومع ان سعيد مخلوف قد قام بعدة محاولات في هذا المجال، الا انها لم تكن كافية لوضع هذا التحدي ، او هذا الدسّ ، على الرف.

والآن لنخرج من المقاهي والمعارض والمقابر ، الى الهواء الطلق ، حيث بعض الاصوات البريئة الهامسة تتسارع كدقات القلب ، في عصر شاخ فيه حتى القلب. ثمة اقلام تحمل في رؤوسها فيض السحب وغبار القرى . تنشد اولوية في اي طريق لصنع قدرها ، ولكن في حقبة انسانية عصيبة ، لا تسمح لباقتها للانسان بان يشارك في صنع قدره باكثر من تسريح الشعر وتزرير السترة . ومع ان حماسة هذه الفئة من الادباء الشباب ستكون من اجمل ذكرياتها في المستقبل، الا انها تظل في الوقت الحاضر المروحة الوحيدة في هذا الجو الادبي الخانق .

هناك لوحات ، وقصص ، ومقالات ، وقصائد. ولكن ما تعكسه لا يضيء الملامح الدفينة: التجاعيد المرصوصة فوق بعضها بفعل الجبن ، والتغاضي ، وسوء الاحتمال. الا ان ثمة مرآة شاحبة في الافق الادبي ، نتساءل منذ الآن عما سوف تعكسه وسط اشباح تغطي وجه الشمس. بل اية ظلال سوف ترتسم على الزجاج المؤطر بالشك وصرخات الغضب في آذان فقدت رصانة الانتباه وحياد الاصغاء . هذا ما سوف تجيب عليه « المرآة الشاحبة » ، الرواية الاولى لسنية صالح، بعد ان تأتي على فصلها الاخير – فصل الابتهال لاحلام لم تتحقق ، والغفران لاخطاء لم ترتكب .

تاريخ مصر الحديث

لندن ، من محمود زايد :

كان تاريخ مصر الحديث موضوع مؤتمر نظمته مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن. وعقد المؤتمر في الفترة بين الخامس والتاسع من نيسان (ابريل) الماضي وشارك فيه خمسة وعشرون من المعنيين بالموضوع ، قام واحد وعشرون منهم بتقديم ابحاث للمؤتمر في ميادين اختصاصهم واهتمامهم، بينهم اساتذة من جامعات الولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا ومصر وتركيا و لبنان ، وقام الاربعة الباقون بافتتاح المؤتمر وتقديم جلساته وادارتها .

وبذل القائمون على المؤتمر ، وبخاصة الاستاذ ب. م. هولت ، جهدا كبيرا في سبيل الاعداد له وتنظيمه . فقد كلف المشاركون بكتابة ابحاثهم قبل موعد انعقاد المؤتمر بشهور ، كما طلب منهم ارسال نسخ من الابحاث بحيث تصل لندن في اول كانون الثاني (يناير) الماضي . وتم طبع نسخ من جميع الابحاث وارسال مجموعات منها للمشتركين قبل انعقاد المؤتمر . وبذلك اتيحت الفرصة لكل مشترك ان يطلع على الابحاث ويسجل ملاحظاته عليها قبل طرحها للتعليق والمناقشة .

وقد احسن القائمون على المؤتمر الاختيار حين جعلوا من تاريخ مصر الحديث موضوع بحثهم. ففضلا عن المكانة السياسية والثقافية التي تمثلها مصر اليوم في الشرق الاوسط ، وفضلا عن الدور الذي تلعبه في السياسة الدولية ، فهناك اولا مراجع ووثائق كثيرة عن الموضوع لم تدرس بعد دراسة جدية ، كما ان هناك جوانب من تاريخ مصر الحديث تنتظر

من يعالجها .

ويمكن تقسيم الابحاث التي قدمت الى المؤتمر الى ثلاث فئات : الاولى تعالج النواحي الاجتماعية والاقتصادية ، والثانية تعالج النواحي السياسية ، والثالثة تبحث في المراجع والوثائق .

وجاءت الفئة الاولى غنية بمادتها عظيمة الفائدة لكل معني بتاريخ مصر الحديث . وحيث انه لا يتأتى لنا هنا ان ننوه بجميع تلك الابحاث القيمة والقضايا التي اثارتها والمادة التي اضافتها فسوف نقتصر على الاشارة الى عدد منها مع تعليق قصير جدا على محتوياتها .

واول بحث اود الاشارة اليه هو « بعض مظاهر الحياة الفكرية والاجتماعية بمصر في القرن الثامن عشر » . ويرد كاتبه تدهور الحياة الاقتصادية والثقافية في مصر عقب الاحتلال التركي لها الى العزلة التي ضربها الاتراك على البلاد. وبعد ان تناول الكاتب مظاهر الانحطاط في التعليم والدراسات الطبية والعلمية والادبية والتاريخية ، ذهب الى ان الجمود الذي هيمن على الحياة الثقافية بمعناها الواسع اخذ يتبدد تدريجيا خلال القرن الثامن عشر ، وان بوادر الاصلاح في ذلك القرن اتخذت اشكالا ثلاثة وهي: تدخل العلماء في رفع الظلم عن الشعب وكبح جماح الامراء ، والحملات التي تزعمها بعض الافراد ضد المتصوفة و اوليائهم ، واخيرا ظهور عدد من العلماء والمفكرين الذين يمكن اعتبارهم رواد نهضة ثقافية جديدة .

وعالج احد المشتركين « التغير الاجتماعي بمصر سنة ١٨٠٠ الى ١٩١٤ » ، وذهب في نتائج الى ان « التغرب » في مصر خلال هذه الفترة قصورا على فئة صغيرة من المجتمع المصري ، عملية « التغرب » خلقت هوة بين المتأثرين بالحضارة الغربية وبين غالبية جماهير الشعب من الفلاحين وصغار الطبقة الوسطى . واضاف هذا ان الاحتكاك بالغرب لم يغير شيئا من المواقف السياسية للاسرة وللمتدينين ، وانه لم يبدل شيئا من مركز المرأة في المجتمع . ويلاحظ الكاتب ان العجز القائمة بين مختلف فئات الشعب تحطمت وان اختلاط مختلف فئات الشعب جاء نتيجة لنمو المدن ، وتلاشي طوائف الصناع واهل الحرف ، وازدياد الحاجة الى الموظفين ، وتوسع الزراعة ، وازدياد عدد ملاك الارض .

وبحثت مشتركة في المؤتمر « دور علماء الدين في مصر في اوائل القرن التاسع عشر » ، وذهبت الى انه يمكن اعتبار عقود السنوات الاخيرة من الحكم المملوكي لمصر الى بداية حكم محمد علي ، العصر الذهبي لسلطان علماء الدين ، وذلك لان سلطانهم خلال هذه الفترة بلغ حدا لم يسبق ان بلغه العلماء من قبل ، لكن محمد علي لم يلبث ان وضع حدا لنفوذهم بتضييقه على المعارضة وبقضائه على العناصر الشعبية التي كان علماء الدين قد استندوا اليها .

ومن ابحاث القسم الاجتماعي والاقتصادي بحث بعنوان « التنظيم الاجتماعي في مصر في عهد محمد علي » ، قدمت كاتبته له بلمحة عن المجتمع قبيل محمد علي ، ثم تناولت بالتحليل البارع فئات المجتمع المختلفة خلال حكمه ، وذهبت الى ان الطبقة الوسطى لم تظهر في عهد محمد علي لعدم وجود الظروف المؤاتية لظهورها ، فكان لا بد من الانتظار الى الحرب العظمى الاولى التي شهدت ولادة طبقة برجوازية مصرية حقيقية .

ومن امتع ابحاث القسم الاجتماعي بحث بعنوان « الاحياء والحركات الشعبية في القاهرة في القرن الثامن عشر » . ولاحظ كاتبه ان الحركات الشعبية من سنة ١٦٧٥ الى ١٧٣٥ كانت ردود فعل مباشرة للصعوبات التي كانت تعترض سبيل الحصول على الغذاء وللتلاعب بالنقد . واصبحت هذه الحركات بعد فترة من الهدوء امتدت من ١٧٣٥ الى ١٧٧٠ وسيلة للاحتجاج على ظلم الحكام . ويذهب الكاتب الى انه منذ سنة ١٧٩٨ اتخذت هذه الحركات طابعا سياسيا حقيقيا وانها كانت عاملا ساعد على وصول محمد علي باشا الى الحكم .

وحفل القسم الثاني من الابحاث ، وهو القسم الذي يعالج التاريخ السياسي ، بمواضيع في غاية الفائدة للمعنيين بتاريخ مصر السياسي . فمنها ما يعالج فترات غامضة منه ويلقي ضوءا جديدا على بعض احداثه . ومن هذه الابحاث بحث في « سياق

تاريخ مصر السياسي من ١٥١٧ الى ١٧٩٨ » . وهذا البحث يسد ثغرة في دراسة الفترة الاولى من العهد التركي في مصر . وقد اصاب صاحب البحث بقوله انه لم تظهر الى الآن دراسة شاملة مفصلة لتاريخ مصر السياسي في العهد العثماني وان المراجع التي استند اليها من كتبوا عن هذه الفترة لا تلقي سوى ضوء ضئيل على القرنين الاولين من العهد التركي . وبين ابحاث هذا القسم بحثان عن الحركة القومية المصرية في ظل الاحتلال البريطاني والحماية البريطانية ، استغل فيهما صاحباهما بعض المواد الجديدة التي ظهرت مؤخرا والتي تلقي ضوءا جديدا على الاحزاب السياسية المصرية .

اما القسم الذي يعالج المراجع فلا يستغني عنه الباحث في تاريخ مصر ، لانه يشير الى عدد من المراجع والوثائق ويعلق على مدى اهميتها واحيانا على طرق الاستفادة منها في دراسة تاريخ مصر الحديث. وبين هذه الابحاث بحث بعنوان « بعض المراجع الانكليزية لدراسة تاريخ مصر الحديث » يشير الى طائفة من الوثائق والاوراق الخاصة ومكانها .

ويمكن القول بوجه عام ان المؤتمر كان ناجحا، فقد وفق القائمون عليه كثيرا باختيار الموضوع وبذلوا جهدا موفقا في تنظيمه وتوفير الجو العلمي الملائم له . ثم انهم جمعوا عددا لا بأس به من المختصين الذين يتعذر جمعهم في غير مثل هذا المؤتمر.

الوعي الجديد في الجامعات

وشنطن ، من جريمي ولفندين :

في الولايات المتحدة زهاء خمسة ملايين طالب واستاذ جامعي . وهذا الرقم اكبر بسبع مرات من عدد الاشخاص الذين توظفهم مصانع السيارات في البلاد ، واكبر بست عشرة مرة من مجموع عدد الاشخاص الذين يعملون في سائر نشاطات مشاريع الفضاء . ومع هذا فان العالم الجامعي لم يحدث اثرا جماعيا في السياسة الامريكية وتخطيطها الا في الاشهر القليلة الماضية .

فقد قام اساتذة هنا وهناك بانتقاد السياسة الامريكية في الفيتنام ، وعقد الطلاب اجتماعات للاحتجاج على قصف الفيتنام الشمالية بالقنابل ولمطالبة القوات الامريكية بالجلاء عن الفيتنام الجنوبية ؛ وعندما نزلت القوات الامريكية في جمهورية الدومينيكان في الربيع الماضي ارتفعت اصوات الطلاب بالاحتجاج بصورة تلقائية تقريبا من اقصى البلاد الى اقصاها . وسرعان ما ادركت حكومة الرئيس جونسون، الحساسة دوما للنقد الذي تتعرض له ، اهمية هذه الهجومات .

فارسلت عددا من كبار موظفي وزارة الخارجية الى الجامعات في كافة انحاء البلاد ليدافعوا عن سياستها في الفيتنام ، وشجعت الاساتذة الجامعيين الذين يكنّ لهم الطلاب الاحترام، والذين يساندون الموقف الامريكي الرسمي ، على القاء تصريحات علنية دفاعا عن ذلك الموقف .

وكانت نتيجة هذا كله ما اخذ يعرف الآن بنظام الـ « Teach-in » — اي المناظرات والمناقشات العلنية فيما يتعلق بسياسة الحكومة. وقد استهلت هذه المناظرات ، بشكل لم يكد يفطن اليه انسان ، في جامعة ميتشيغان في ٢٤ آذار (مارس). ولم ينقض شهر حتى كانت قد انتشرت من عرض البلاد الى عرضها . ووصلت ذروتها في مناظرات وشنطن في ١٥ ايار (مايو)، التي اذيعت على اكثر من مائة وعشرين جامعة في خمس وثلاثين ولاية مختلفة .

وقد قمت بجولة في عدد من الجامعات اثر هذه المناظرة، فوجدت ان الحشود التي استمعت اليها تبعث على الدهشة — لا من حيث وفرة عددها فحسب ، بل ايضا من حيث طابعها وصفاتها . فالمنظمون في كثير من الجامعات كانوا يتوقعون (وفي الواقع كانوا يخشون) ان تكون الاجتماعات اجتماعات يسارية . لكنهم وجدوا ، عوض ذلك، جمهورا متشعب الآراء والاتجاهات من الطلاب والاساتذة الشبان الذين يحاولون باخلاص وصدق الوصول الى قرار ورأي في قرارة انفسهم .